من صفات المؤمنين في القرآن / والذين هم للزكاة فاعلون

ذكرنا في الجمع الماضية بعض صفات المؤمنين، ورثة جنة النعيم وقلنا من صفاتهم الخشوع في الصلاة، والاعراض عن اللغو في الاقوال والافعال والاهتمام والشعور.
وسنعيش اليوم في ظلال صفة ثالثة من صفات أهل الايمان التي وصفهم الله بها في سورة المؤمنين [والذين هم للزكاة فاعلون] فالزكاة والانفاق في سبيل الله / من أهم أبواب تزكية النفس، فعندما وعد الله المؤمنين بالفلاح ذكر صفاتهم فكانت أول صفاتهم الاقبال على الله (وذلك من خلال الخشوع في الصلاة) أقول أهل الايمان وألفاظهم طيبة بعيدة عن الغيبة والنميمة وانصرافهم عن اللغو والقبيح من الاقوال والافعال فقال [وأعمالهم ترضي ربهم] والاهتمام، مادية نبيلة بعيدين عن الاهتمامات الهابطة المنحطة، وهاتان الصفتان تعتبران عبادة بدنيه، فأنت تتقرب إلى الله بخشوعك في الصلاة / وتقرب إلى الله بحُسن أخلاقك أما الزكاة والصدقات فهي عبادة مالية / فيها طهارة للقلب والمال، طهارة للقلب من الشح والبخل واستعلاء على حب الذات، وانتصار على وسوسة الشيطان بالفقر، وثقة بما عند الله من العوض والجزاء، وطهارة للمال تجعل ما بقى منه بعدها طيباً حلالاً، والزكاة اسمٌ لما يخرجه الانسان من حق الله تعالى إلى الفقراء، وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة، وتزكية النفس وفيها النماء والطهارة والبركة.
وفيها تطهير النفس، الغنى من رذلة الشح التي جُبل عليها الانسان قال تعالى [واحضرت الانفس الشُح] وفيها تطهير لقلب الفقير من الحسد والبغض للغني. فالانفاق هو الذي يطهر النفس من الشح فتزكو بذلك النفس كما قال تعالى [وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله فيزكي]
والزكاة هي أحد أركان الاسلام الخمسة وقُرنت بالصلاة في اثنين وثمانين آية مما يدل على عظم شأنها وكمال الاتصال بينها وبين الصلاة / لذا قال صديق هذه الامة وخليفة الرسول الاول أبوبكر الصديق [والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة] [وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة] وقد فرضها الله في كتابه، وسنة رسوله ص، واجماع أمته.
روى الطبراني في الاوسط والصغير، عن علي كرم الله وجهه أن النبي ص قال[إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بِقدرِ ما يَسَعُ فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم [أي أن الجهد والمشقة من الجوع والعرى لايصيب الفقراء إلا ببخل الاغنياء] ألا وإن الله يحاسبُهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً]
مائتي درهم زكاة، وليس في أقل من عشرين دينارا زكاة))([6]).

وقد ورد الترحيب الشديد والوعيد الأكيد لمانعي الزكاة:

قال الله عزوجل: [والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم (البشرى تكون بالخير ولكن هنا من باب تعزيزهم) بهذاب أليم [يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون] التوبة 33، أي يقال لهم هذا الكلام تبكيتا وتقريعا وتهكما كما في قوله تعالى: [ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم، ذق إنك أنت العزيز الحكيم] الدخان 48.
أي هذا بذاك، وهذا الذي كنتم تكنزون لأنفسكم.
ولهذا يقال من أحب شيئا وقدمه على طاعة الله عُذب به، هؤلاء لما كان جمع الأموال أحب عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها.
كما كان أبو لهب جاهدا في عداوة رسول الله وامرأته تعينه في ذلك / وهي يوم القيامة عونا على عذابه أيضا، ((في جيدها)) أي عنقها ((حبل من مسد)) أي تجمع من حطب النار وتلقي عليه، ليكون ذلك أبلغ في عذابه / ممن هو أشفق عليه الدنيا.
كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الاموال على أربابها (عزيزة على قلوبهم)، كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة، فيحمى عليها في نار جهنم، وناهيك بحرها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

قال بعض العلماء: لما طلبوا المال والجاه شأن الله وجوههم/ولما طووا كشحا عن الفقير إذا جالستهم كويت جنوبهم/ولما أسندوا ظهورهم إلى أموالهم ثقة بها واعتمادا عليها كويت ظهورهم.
وقيل: إنما خص هذه الأعضاء / لأن الغني إذا رأى الفقير زوى مابين عينيه وقبض وجهه (كشر وعبس في وجهه) وإذا زاده في السؤال وأكثر عليه ولاه ظهره / فرتب الله العقوبة على حال المعصية.

وقد بينت سنة النبي ص كيفية هذا الكي.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة (رضي) قال: قال رسول الله:[ما من صاحب ذهب ولافضة لايؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فاحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار]

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة (رضي) قال: قال رسول الله: ((من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذه بلهزَمَتيه (يعني شدقيه) ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا النبي ص الآية: [ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة] ([8]) آل عمران 180.

أي إن المال يمثل له في صورة شجاع أقرع، والشجاع الحية الذكر، والأقرع الذي طال عمره وسقط شعره، والزبيبتان نقطتان سوداوان فوق العينين، وهو أخبث الحيات، يطوقه ثم يأخذ بشفتيه فيقول: أنا مالك أنا كنزك.

ولم يقف الشرع عباد الله عن حد الوعيد بالعقاب الأخروي بل هدد بالعقوبة الدنيوية كل من يبخل بحق الله عز وجل، قال الله تعالى: [إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمونها مصبحين ولايستثنون، فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون، فأصبحت كالصريم، فتنادوا مصبحين، أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين، فانطلقوا وهم يتخافتون، أن لايدخلنها اليوم عليكم مسكين، وغدوا على حرد قادرين، فلما رأوها قالوا إنا لضالون، بل نحن محرومون، قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون، قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، قالوا ياولينا إنا كنا طاغين، عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون]